الشيخ اليوسف: من المبادرات الطيبة طلب النصيحة والمشورة من أهل الخبرة

دعا سماحة الشيخ الدكتور عبدا أحمد اليوسف في خطبة الجمعة 21 جمادى الأولى 1441 هـ الموافق 17 يناير 2020م إلى تعزيز صفة التناصح بين الناس؛ لما للنصيحة من آثار إيجابية، ولما تتضمنه من معانٍ جميلة وعميقة: كالإخلاص والصدق وحب الخير والوفاء وغيرها من قيم الأخلاق الفاضلة.

وأضاف: أولى الإسلام أهمية كبيرة للنصيحة، لما لها من آثار إيجابية في بناء حياة الأفراد والمجتمعات، وتعميم الخير، والتعاون على البر والتقوى، ونشر قيم الأخلاق المحمودة في المجتمع.

وقال: إن الإسلام يأمر بكل خير، ويدعو إلى كل فضيلة؛ فقد دعا إلى التحلي بفضيلة النصيحة، والتناصح بين الناس بما يعود عليهم بالخير، فالنصيحة إنما تنبع من حب الإنسان المؤمن الخير لأخيه كما يحبه لنفسه، وهو الغاية من النصيحة، قال رسول ا صلى ا عليه وآله: «لِيَنصَحِ الرّجُلُ مِنكُم أخاهُ كنَصيحَتِهِ لنَفسِهِ»، فكما يحب الإنسان الخير لنفسه عليه أن يحبه لإخوانه وأصدقائه ومعارفه وكافة المؤمنين، وكما يكره الشر لنفسه عليه أن يكرهه لغيره أيضاً.

وتابع: المؤمن من طبيعته أنه يحب الخير لنفسه وأخيه، وتجد فيه نزعة حب الخيرللآخرين متأصلة، ليشيع الحق والخير والصلاح في المجتمع، وهو ما يحفزه للنصح واالتوجيه والإرشاد، قال الإمامُ عليّ ٌ عليه السلام: «المؤمِنُ غَريزَتُهُ النّصُحُ» . فالمؤمن من سجيته النصح لإخوانه وإرشادهم إلى الطريق المستقيم، وهذا من أخلاق المؤمن؛ ولذلك فـ «النّصيحَةُ مِن أخلاقِ الكِرامِ» كما قال الإمامُ عليّ ٌ عليه السلام.

وأوضح أن النصيحة خلق من أخلاق القرآن الكريم، وفضيلة من فضائل الإسلام العظيم، ونقرأ في البيان النبوي ما يؤكّد لنا عِظم مكانة النّصيحة من الدّين، وأنّها عِماده وقوامه، حيث قال النبيّ صلى ا عليه وآله: «الدّينُ النّصيحَةُ».

وقال: يكفى النصيحة فضيلة وشرفاً وفضلاً وعلواً أنها صفة من صفات الأنبياء، وفضيلة من فضائل الرسل، وهم النماذج الكاملة الذين اخترهم ا تعالى لتبليغ رسالاته إلى خلقه، إذ نجد في القرآن الكريم عدة إشارات مهمة إلى أن من أهم وظائف الأنبياء والرسل النصح والإرشاد إلى الناس.

وتابع: النصيحة كما هي من صفات الأنبياء والرسل، كذلك هي من صفات الأئمة المعصومين عليهم السلام ، حيث كان همهم الأساس النصح والإرشاد للناس، وقد أشار الإمام علي عليه السلام إلى ذلك معتبراً إياها من حقوق الأمة على الإمام، حيث قال: «أ يّ ُها النّاسُ، إنّ لي علَيكُم حَقّاً ولَكُم علَيّ َ حَقّ ٌ، فأمّا حَقّ ُكُم علَيّ َ فالنّ َصيحَةُ لَكُم ... وأمّا حَقّ ِي علَيكُم فالوَفاءُ بالبَيعَةِ، والنّ َصيحَةُ في المَشهَدِ والمَغيبِ».

وبيّن سماحته أن من حق المؤمن على المؤمن تقديم النصيحة له، قال الإمامُ الصّادقُ عليه السلام: «يَجِبُ لِلمؤمنِ علَى المؤمنِ النّ َصيحَةُ لَهُ في المَشهَدِ والمَغيبِ» . وعنه عليه السلام قال: «المؤمنُ أخو المؤمنِ يَحِقّ ُ علَيهِ نَصيحَتُهُ».

والإنسان الناصح الصادق والأمين في نصحه محسن لمن نصحه ومشفق عليه، وينبغي مقابلته بقبول نصيحته والأخذ بها، فقد روي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «اسمَعوا النّ َصيحَةَ مِمّ َن أهداها إلَيكُم، واعقِلوها على أنفُسِكُم» . وعنه عليه السلام قال: «مِن أكبَرِ التّ َوفيقِ الأخذُ بالنّ َصيحَةِ».

وشدد على عدم التفريط في قبول النصيحة خصوصاً إذا كانت صادرة من أهل الحكمة والعلم والفضل والتجربة في الحياة.

ودعا إلى شكر من يقدم النصيحة لك؛ لأنه إذا نصحك ناصح أمين فإنه يحب الخير والتوفيق لك، وعليك مكافئته بالشكر والامتنان على نصيحته، فإن مناصحك مشفق عليك ومحسن إليك كما أشار الإمامُ عليّ ٌ عليه السلام إلى ذلك بقوله: «مُناصِحُكَ مُشفِقٌ علَيكَ، مُحسِنٌ إلَيكَ، ناظِرٌ في عَواقِبِكَ، مُستَدرِكٌ فَوارِطَكَ، ففي طاعَتِهِ رَشادُكَ، وفي مُخالَفَتِهِ فَسادُكَ».

وأبدى أسفه لمن يزعل من النصيحة أو يغضب أو ينفعل، ولا يحب أن ينصحه أحد؛ وهذا خطأ، لأن الناصح قد يبصّرك بعيبك، أو ينبّهك من غفلتك، أو ينهاك عن غيّك، أو يرشدك إلى طريق الحق والخير؛ فعليك أن تكافئ الناصح إليك بالشكر والإحسان لأنه محسن ومخلص في صداقته لك.

وقال: إن الصديق الصدوق والمخلص هو من يبصرك بعيوبك، لا من يغشك بمسايرتك وإن أضحكك، قال الإمام علي عليه السلام: «الصّ َديقُ الصّ َدوقُ: مَن نَصَحَكَ في عَيبِكَ، وحَفِظَكَ في غَيبِكَ، وآثَرَكَ على نَفسِهِ» ، وعنه عليه السلام قال: «إنّما سُمّ ِيَ الصّ َديقُ صَديقاً لأنّهُ يَصدُقُكَ في

نَفسِكَ ومَعايِبِكَ، فَمَن فَعَلَ ذلكَ فاستَنِمْ إلَيهِ فإنَّهُ الصَّدِيقُ».

وقال الإمامُ الباقرُ عليه السلام: «اتَّبِعْ مَن يُبكيكَ وهُو لكَ ناصِحٌ، ولا تَتَّبِعْ مَن يُضحِكُكُ وهُو لكَ غاشٌّ» . وقال الإمامُ الصّادقُ عليه السلام: «أحَبُّ إخواني إلَيَّ مَن أهدى إلَيَّ عُيوبي».

وأوضح أن للنصيحة آداباً ينبغي العمل بها، ومنها: أن تكون النصيحة سراً لتكون أوقع في النفس، وأقرب للقبول بها، فقد ورد عن الإمام العسكري عليه السلام أنه قال: «مَن وَعَظَ أخاهُ سِرّاً فَقَد زانَهُ، ومَن وَعَظَهُ عَلانِيَةً فَقَد شانَهُ»، فالنصيحة أمام الناس ذم وتقريع، كما أشار الإمامُ عليٌّ عليه السلام إلى ذلك بقوله: «نُصحُكَ بَينَ المَلأِ تَقْريعٌ» . فمن أراد أن ينصح أحداً فعليه أن ينصحه سراً حتى يحافظ على كرامته ويسهل عليه قبولها، وإلا فإن الغالب أن ترفض النصيحة إذا كانت أمام الملأ بسبب الشعور بالإهانة، أو لوجود كبر وغرور وعجب بالنفس عند المنصوح له تمنعه عن قبولها.

واعتبر أن من المبادرات الطيبة أن يبادر الإنسان نفسه إلى طلب النصيحة والمشورة ممن يراهم أهلاً لذلك، وعلى الناصح أن يخلص في نصيحته للمستنصح، وقد اعتبر رسولُ اللّهِ أن ذلك من حقوق المسلم على المسلم، فقد قال صلى الله عليه وآله: «حقُّ المسلمِ على المسلمِ سِتٌّ: [وذكر منها] وإذا اسْتَنْصَحَكَ فانْصَحْ لَهُ» ومثل هذا الإنسان يتقدم ويتطور، لأنه يستفيد من تجارب وأفكار وعقول غيره، وقد قال رسولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله: «أعلَمُ النّاسِ مَن جَمَعَ عِلمَ النّاسِ إلى عِلمِهِ».

ولا يقتصر أمر النصيحة على الأفراد، بل حتى المجتمعات بحاجة للاستفادة من أهل الخبرة والتجربة والعلم، وذلك بطلب النصيحة منهم، حتى يتقدم المجتمع ويتطور، وإلا فإن المجتمع الذي تغيب عنه حالة التناصح في أوساطه يبقى يراوح مكانه، ولا خير يرجى منه، فقد قال الإمام علي عليه السلام: «لا خَيرَ في قَومٍ لَيسوا بناصِحينَ ولا يُحِبُّونَ النّاصِحينَ».